جامعة القاهرة
كلية دار العلوم
قسم الشريعة الإسلامية

٢٢٨١
٢٨٢٣٩

الجبال فى القرآن الكريم

«دراسة تحليلية موضوعية»

بحـــث

مقدم من الطالب / محسن على حسين طه

١٨٤٧ رقم الصفير

«لنيل درجة الماجستير»

٢٢٤
ع. ٣

إشراف

الأستاذ الدكتور / محمد إبراهيم شريف

رسالة

١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م

بسم الله الرحمن الرحيم

قال تعالى : «والأرض مددناها وألقينا فيها رواسي وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج ، تبصرة وذكرى لكل عبد منيب»

(ق : ٧ - ٨)

شكر وتقدير

إلى من وهبنى من جهده ووقته الكثير ،إلى من فتح لى بعلمه وعصارة فكره وحسن توجيهه أبواب العلم وطرق البحث على مصراعيها ،وترك أثر بصماته فى منهج تفكيرى وسلوكى .

إلى أستاذى العلامة الأستاذ الدكتور/محمد ابراهيم شريف أتقدم بخالص الشكر وعظيم الامتنان على تفضله وقبوله الاشراف على هذا البحث منذ كان فكرة فى عقل الباحث حتى صار حقيقة فى الوجود .

فبجهده استقام بنيانه وتوطدت أركانه . فجزاه الله عنى أحسن الجزاء وجعل جهده المبذول فى ميزان حسناته .

لقد استفدت من أستاذى بالإضافة إلى التحصيل العلمى قيما سامية غيرت مجرى حياتى .

استفدت منه الجد فى الحياة ،والصبر فى مواجهة الصعوبات ،والإخلاص فى العمل ،والزهد فى الدنيا ،وهذه القيم وحدها جديرة بأن تشد الرحال فى طلبها ولا أملك إزاء ذلك إلا أن أتوجه إلى الله سبحانه بالدعاء أن يمد فى عمره ،ويبارك فى وقته إنه نعم المولى ونعم النصير .

الباحث

مقدمـــة :

أسباب اختيارى لهذا البحث :

القرآن الكريم مأدبة الله في أرضه أنزله على خاتم رسله محمد - صلى الله عليه وسلم - ليكون دستوراً للوجود ، ومنهاجاً للحياة ، وهادياً إلى الصراط المستقيم .

فجاء معجزاً في بلاغة أسلوبه ، وسمو معانيه وجوامع كلمه ، كما جاء معجزاً بما قصه من سير الأنبياء والمرسلين والأمم السابقة ، وجاء معجزاً بما تضمن من تشريعات حكيمة ومثل عليا تتفق مع طبائع البشر في كل زمان ومكان ، تكميلاً لفطرتهم ، وضماناً لسعادتهم ، وجاء معجزاً بما حوى من آيات العلم والمعرفة الصحيحة عن الجانب المادى من هذا الكون مما لم يكن للناس به علم قبل نزول القرآن أو بعد نزوله ، حتى جاء العلم الحديث بوسائل بحثه الدقيقة المستندة إلى الخبرة والمشاهدة فكشف عن كثير منها ، وأماط اللثام عن حقائقها ، فجاءت منسجمة مع حقائق القرآن ولم تتعارض مع شئ منها ؛ بل تكرار لها .

جاء القرآن بمعجزاته الخالدة ، متحدياً العرب والناس أجمعين على أن يأتوا بمثله أو بعشر سور من مثله أو بسورة واحدة من مثله ، قال متحدياً - ولا يزال يتحدى - في سورة الإسراء : " **قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً** " (٨٨) .

وقال في سورة البقرة : " **وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين . فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين** " . (٢٣ - ٢٤) .

وقد عجز فحول العربية وأساطين البلاغة من العرب وغيرهم أن يأتوا ولو بمثل أقصر سورة منه فكان ذلك - ولا يزال - حجة قاطعة على أنه من عند الله، وأنه كتاب الله الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد .

ولما كان القرآن منزلاً للناس كافة في كل زمان ومكان من أهل العربية وغيرهم كان لهم من معجزاته الأخرى التي تتناسب مع ثقافة العصر وعلومه مايمكنهم من إدراك إعجازه ، وإلزامهم الحجة بصدق دعواه . إذ جعله الله معجزة خالدة لنبيه ـ **صلى الله عليه وسلم** ـ تتجدد بتجدد الأزمان والأجيال ، " **أولم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم** . . . . (العنكبوت : ٥١) .

ولما كانت الجبال من أبرز معالم هذه الأرض وأعظمها على الإطلاق ، أولاها القرآن الكريم اهتماما يتناسب مع شموخها ومنافعها حيث ورد ذكر الجبال في عدد كبير من آياته الكريمة ، تارة بلفظها وتارة بوصفها رواسي للأرض مما يوحي بأهميتها القصوى بالنسبة لاستقرار هذه الأرض والحياة عليها .

والجبال من أعظم الآيات الكونية التي تقرأ بكل لغة ، يقرأها المثقف والأمي كل بحسب إدراكه وإحساسه ، كما أنها تشكل في نفسها ظاهرة مهيبة من ظواهر هذا الكون العظيم المحكم تدل على قدرة الخالق ، وعظمة المبدع ، كما توحي بالمهابة المطلقة لخالق الجبال ومرسيها .

فالجبال آية كونية في رسوخها وشموخها ، كما أنها آية في أشكالها وألوانها ، إضافة إلى العرى الوثيقة التي تربط بينها وبين هذا الإنسان ، ففيها ومنها اتخذ ويتخذ حصونه ومسكنه ، وهي من أهم العوامل في بناء حضاراته وتخليدها ، ولما لها من تأثير مباشر على المناخ والطقس ، وتأثيرها في مسار اتجاه الرياح وهطول الأمطار ، وتنوع المحاصيل الزراعية ، والثروة الحيوانية والطبيعية وغير ذلك . كما ارتبطت الجبال ـ من الناحية الدينية ـ بالوحي ، وقصص الأنبياء والأمم ، بالإضافة إلى علاقتها الوثيقة بمشاهد القيامة .

بالرغم من هذه الأهمية القصوى التي أولاها القرآن الكريم للجبال ، فإن الآيات التي تحدثت عنها لم تحظ من دراسات العلماء ، وأبحاثهم بما يتناسب مع أهميتها وسعة مساحتها

في القرآن الكريم ، ولم نجد منهم قديماً أو حديثاً من أفردها بدراسة مستقلة ومتخصصة إلا نزراً لا يتناسب مع الأهمية التي أولاها إياها القرآن الكريم .

وماكتب في هذا الجانب من شذرات متفرقة ، رأيت أنه لم يعط الموضوع حقه ، ولا البحث مطالبه ، ولا الآيات شرحها ، وفوق هذا وذاك لم يكتب أحد من أهل الاختصاص في علوم الشريعة ـ فيما أعلم ـ في هذا الموضوع .

من أجل ذلك اخترت هذا الموضوع ـ بالرغم من علمي المسبق بوعورته ـ لما يأتي :

١ ـ لمحاولة إبراز معالم هذا الموضوع ، وفتح بابه أمام الدارسين .

٢ ـ ولأسهم بجهدي الذي هو جهد المقل في إبراز مااشتملت عليه آيات الجبال من الحقائق العلمية المذهلة ، والإعجاز القرآني الرائع .

٣ ـ وقبل هذا وذاك لأقف على جانب من أسرار اهتمام القرآن الكريم بالرواسي الشامخات .

****

خطـة البحـث

يتكون البحث من مقدمة وتمهيد وثلاثة أبواب وخاتمة

الباب الأول

الجبال وعلاقتها بالأرض

وفيه فصلان :

الفصل الأول : علاقة الجبال بالأرض

وفيه ستة مباحث

المبحث الأول : أنواع الجبال وألوانها .

المبحث الثاني : حركة الأرض والجبال .

المبحث الثالث : الجبال أوتاد الأرض ورواسيها .

المبحث الرابع : الجبال ونقص الأرض من أطرافها .

المبحث الخامس : الجبال وامتداد الأرض .

المبحث السادس : الجبال والمعادن .

الفصل الثاني : الجبال والماء العذب الفرات

وفيه مبحثان :

المبحث الأول : الجبال والأمطار .

المبحث الثاني : الجبال والأنهار .

الباب الثاني

الجبـال والانســان

وفيه فصلان :

الفصل الأول : الجبال في السلوك الانساني

وفيه مبحثان :

المبحث الأول : إباء الجبال لحمل الأمانة وحمل الانسان لها

المبحث الثاني : سجود الجبال لله تعالى .

الفصل الثاني : الجبال فى القصص القرآنى :

وفيه ثلاثة مباحث

المبحث الأول : الجبال فى قصص الأنبياء

المبحث الثاني : الجبال فى قصص الأمم .

المبحث الثالث : الجبال وعلاقتها بالإيمان .

الباب الثالث

الجبـال والقيامـة

وفيـه فصـلان :

الفصل الأول : الجبال وأحداث القيامة .

وفيـه مبحثـان :

المبحث الأول : أقوال المفسرين فى تفسير آيات الجبال فى القيامة .

المبحث الثاني : مناقشة أقوال المفسرين .

الفصل الثاني : عاقبة الجبـال

وفيـه ثلاثة مباحث

المبحث الأول : رجف الجبال ورجها وبسها .

المبحث الثاني : سير الجبـال وتسييرهـــا .

المبحث الثالث : نسـف الجبـال .

منهج البحث :

أولا : بدأت بحصر وجمع الآيات المتعلقة بموضوع الجبال المنبثة في أربع وثلاثين سورة ممتدة من سورة البقرة إلى سورة القارعة ، وعدد الآيات التي ذكرت فيها الجبال فاق توقعاتي قبل استعراضها حيث بلغ عددها ستا وأربعين آية .

ثانيا : قمت بترتيب الآيات وتقسيمها حسب الأبواب والفصول والمباحث .

ثالثا : رتبت آيات كل مبحث إن كان في المبحث أكثر من آية حسب ترتيب نزول الوحي بسورها ، وقد أكرر الآية أو الآيات في أكثر من باب أو فصل أو مبحث لعلاقتها بأكثر من قضية .

رابعا : لم ألتزم في طريقة الشرح نمطاً معيناً ، ولكن في الغالب أبدأ الآية بتحليل ألفاظها ، مستعينا في تحقيق معاني الألفاظ بمعجمات ألفاظ القرآن الكريم ومعجمات اللغة .

خامسا : أتبع ذلك بأقوال المفسرين إن كان في تفسيرها أكثر من قول ، فإذا وجدت خلافا بين المفسرين أجملت الاقوال وناقشتها ورجحت ماأراه راجحا بالأدلة النقلية والعقلية، وفي نطاق القاعدة الأساسية في التفسير : وهي الأخذ بالظاهر مالم يمنع منه مانع نقلي أو عقلي في حدود المعاني المحتملة للآيات وألفاظها دون نقص أو زيادة . ثم عقبت على أقوال المفسرين في كل مبحث بتعليق يتم نواحي البحث ويوضحها ، ويلقي ضوءاً على المقاصد والغايات.

سادسا : ولما كان للعلم التجريبي اهتمام بظاهرة الجبال استظهرت بما وصل إليه من الحقائق مسترشداً بذلك في تفسير الآية أو الآيات بما يقتضيه السياق واللغة ، منبها إلى أن الحقيقة القرآنية هي الحقيقة القطعية ، وماقرره العلم هو استجلاء لتلك الحقيقة الثابتة في القرآن الكريم ـ نصا أو إشارة وتلميحا ـ من قبل أربعة عشر قرنا من الزمان .

سابعا : اعتمدت في دراسة الموضوع على كتب التفسير القديمة منها والمعاصرة ، وكتب اللغة ، وكتب العلوم التجريبية مثل كتب الجغرافيا والفلك والجيولوجيا وغيرها من الكتب والأبحاث والمحاضرات .

المشكـلات :

من أهم المشكلات التي واجهتني الآتي :

أولا : تبويب الآيات وتوزيعها على أبواب وفصول ومباحث ، حيث أخذ مني وقتا طويلاً ، وجهداً جهيداً ، والسبب أن هذا النوع من التبويب جديد لم يسبق إليه - فيما أعلم - كما أن الموضوع لم يسبق بحثه .

ثانيا : ندرة الأبحاث التفسيرية في هذا الموضوع ، وماوجد من نزر يسير فيه ليس من أهل الاختصاص في علوم الشريعة ، وإنما هو من جهد المتخصصين في العلوم التجريبية ، ولذلك تنقصه الدقة أحياناً ، ويكتنفه الغموض حيناً آخر .

وليس من المبالغة إن قلت : إن صعوبة بحث الجبال في القرآن الكريم لا يقل عن وعورة الجبال نفسها ، لولا أن الله أعانني ثم أكرمني بمشرف أعطاني الكثير من وقته الثمين ، وأفاض علي من علمه الغزير ماذلل من وعورة هذا البحث وسهل مسالكه ، مما جعل نشاطي يتجدد بتجدد ماكانت تظهره الدراسة من نتائج البحث من آن لآخر من الاتفاق العجيب بين القرآن الكريم ، وحقائق العلم وتقريراته ، وهذه ميزة لا يتمتع بها أي باحث في كتاب آخر غير القرآن الكريم .

وفي الختام يجدر بنا أن ننبه بالقول : إلى أن حديث القرآن عن الجبال ماهو إلا نزر يسير من الحديث عن هذا الكون ومافيه من الكائنات .

كما أن الحديث عن الكون ماهو إلا واحد من أحاديث متنوعة ومتعددة وردت في القرآن الكريم شاملة لعلوم شتى ، وتشريعات هامة لكل مايحتاج إليه البشر في حياتهم الروحية والمادية .

* * * *

تمهيد :

قبل الحديث عن الجبال لابد من التمهيد لذلك بالحديث عن كوكب الأرض بصفة عامة، إذ الجبال جزء منها .

فقد ورد ذكر الأرض في القرآن الكريم أكثر من أربعمائة وخمسين مرة ،لأهميتها . ولارتباط الإنسان بها في حياته الدنيا .

والقرآن الكريم ـ كما نعلم ـ كتاب هداية ودعوة ، اقتضت حكمة الله أن تكون دعوته وهدايته حجة عقلية تقوم على النظر في الكون وفي الآفاق وفي الأنفس ، وبيان مافيها من آثار قدرة الله تعالى وجلاله ولا يمكن الوصول إلى إقامة هذه الحجة لتكون برهاناً مقنعاً لبني الإنسان في حاضرها ومستقبلها ، في كل أرجاء الأرض ، إلا إذا اعتمدت على دعائم العلم ، والبحث والمعرفة ... إذ أمد الله الإنسان بسلطان العقل ... وسخر له مافي السماوات ومافي الأرض ... ودعاه إلى كشف أسرار الوجود ببذل أقصى الطاقة البشرية التي أودعها الله فيه ، ليعرف جلال الله تعالى في عظمة ملكه ، وعظيم قدرته ، وإبداع خلقه ...

قال تعالى : " قل سيروا في الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق " (العنكبوت : ٢٠) .

سيروا في الأرض لتعرفوا تأريخها ، وماتعاقب عليها من عصور جيولوجية مختلفة ...

تقول الآية الكريمة : " **سيروا في الأرض** " ... وليس على الأرض فحرف الجر " في " في قوله " **سيروا في الأرض** " له دلالته وإيحاؤه ، وأول مايوحي به حرف الجر " في " أن الأرض في مفهوم الآية الكريمة تشمل الكرة الأرضية وغلافها الجوى ، وليس الكرة الأرضية وحدها ، إذ لو كان المقصود بكلمة الأرض الكرة وحدها ، لعبر القرآن بقوله " **سيروا على الأرض** " .

سيروا في الأرض بأدوات البحث والتنقيب ، والتأمل والاعتبار ، وسنقصر الحديث عن الأرض من حيث: أصلها ونشأتها .

إن موضوع الحديث عن أصل الأرض من أعقد الموضوعات التي واجهت الفكر البشرى منذ أقدم العصور ، على الرغم من التقدم العلمي الهائل في عصورنا المتأخرة ،

وكثيرة ماكتب عنها ، فإنه مازال وسيظل دائماً يتحدى الفكر البشرى المحدود .

وفي القرون الثلاثة الأخيرة ، ظهرت آراء ونظريات كثيرة حاولت جاهدة الوصول إلى تفسير معقول لمعرفة مادة الأرض وطريقة نشأتها ، وسنتحدث عن أهم هذه النظريات بإيجاز ، ومن أراد التوسع في ذلك فليرجع إلى كتب الاختصاص .

أهم نظريات نشأة الأرض :

النظريات التي تحدثت عن المجموعة الشمسية - بما فيها الأرض - كثيرة ولن نتمكن في هذه العجالة من ذكرها جميعا ، لأنها ليست موضع بحثنا ، وسنكتفي بعرض مختصر لأهم هذه النظريات وأشهرها ، وسنقسمها بحسب الافتراضات الرئيسية التي بنيت عليها إلى مجموعتين هما :

أ - نظرية الجزئيات الكونية والسدم .

ب - نظريات أزلية الشمس .

قبل الكلام عن نظرية الجزئيات والسدم ، لابد من الإشارة والتنبيه إلى أن كل النظريات دون استثناء قد عجزت عن تفسير بعض الحقائق المهمة الخاصة بالمجموعة الشمسية ، ولم تظهر حتى الآن نظرية يمكنها أن تدعي بأنها نجحت في إعطاء التفسير المقنع لكل المظاهر المعروفة عن هذا النظام (١) ... وسنكتفي من هذه النظريات بما يتفق مع الحقيقة القرآنية ، وفي هذا الجزء وحده اقتربت هذه النظرية من الحقيقة القرآنية ، وماعداه فلا زال في طور الافتراضات النظرية .

---

(١) **طنطاوى جوهرى** : تفسير الجواهر : ١٠/١٩٨ .

عبد العزيز طريح شرف : الجغرافيا الطبعية (أشكال سطح الأرض) ص ٦٠ .

أ - **نظرية الجزئيات الكونية والسدم** :

وهذه النظرية أو الفرضية لـ " **كانت** " وتابعه عليها " **لابلاس** " و " **ويبل** " . وتقول :

إن المجموعة الشمسية نشأت من سحابة كونية هائلة من الغبار والغازات . إلى هنا تتفق هذه الجزئية من الفرضية مع الحقيقة القرآنية قال تعالى في سورة فصلت " **ثم استوى إلى السماء وهي دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين** " (١١) .

أما النظرية الحديثة فقد ذكرت أن أصل الكون كان سحابة في شكل دوامة سديمية ، وهو مادلت عليه آية سورة " **فصلت** " مع خلاف طفيف في التسمية ، فالقرآن الكريم سمى هذه المادة " **دخان** " بينما سماها العلم التجريبي سحابة كونية من الغبار والغازات " **سديم** " ولا مشاحة كما يقولون في الاصطلاح ، فالعبرة بالمسميات لا بالأسماء .

وبوصول العلم التجريبي إلى هذه الحقيقة العلمية يثبت للقرآن الكريم معجزة علمية هي في الحقيقة حجة على أهل العصر ، وبالتالي حجة على مكتشفيها ، أن هذا القرآن كلام الله وليس من عند محمد - **صلى الله عليه وسلم** - .

إذن فتأكيد العلماء وتقريراتهم أن الشمس وماحولها من الكواكب - بما في ذلك الأرض - كانت سحابة دخان (١) في الفضاء ، هو عين ماأخبر به القرآن في سورة فصلت بقوله : " **ثم استوى إلى السماء وهي دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعا أو كرها قالتا** أتينا **طائعين** " .

ب - **نظريات تفترض أزلية الشمس** : وعنها انفصلت جميع الكواكب بما فيها كوكب الأرض .

وأهم هذه النظريات نظرية الكويكبات للعالمين الأمريكيين " **تشمبرلين** ، **ومولتون** " سنة ١٩٠٥ م .

---

(١) **حسن سيد أحمد أبو العينين** : كوكب الأرض : ص ٦١ .
عبد العزيز طريح شرف : مرجع سابق ، ص ٦٢ - ٦٦ .
عبد الرزاق نوفل : القرآن والعلم الحديث : ص ١٦٠ - ١٦١ .

وقام بتعديل هذه النظرية لتجنيبها بعض الانتقادات التي وجهت إليها ، العالمان البريطانيان " جينز ، وجيفريز " ، ورجحها الغمراوي (١) - رحمه الله - في كتابه **الإسلام في عصر العلم** ، واعتبرها حقيقة مسلمة ، ولم يلتفت إلى النظريات المعارضة لها ، ولذلك رد عليه بعض الذين تكلموا في الإعجاز العلمي للقرآن ، من العلماء (٢) بردود مفادها : أن خلق الأرض لاعلاقة له بخلق السماء ، كما أنهم لم يبرهنوا على أن الأرض جزء منفصل عن الشمس ، والأهم من ذلك تبين أن العلماء غير متفقين على نشأتها ، وأصلها .

لقد أكد العلم ماقرره القرآن الكريم من أن مادة هذا الكون هي الدخان ، وعلى ذلك يمكن حمل قوله تعالى في سورة الأنبياء : " **أو لم ير الذين كفروا أن السماوات والأرض كانتا رتقا ففتقناهما ...** " (٣٠) . فالرتق والفتق المذكوران في الآية الكريمة كانا لمادة " **الدخان** " ... أي أن الله سبحانه فتق كتلة الدخان المجتمعة على بعضها ، بخلق كل جرم من هذه الأجرام منفصل عن الآخر من هذه الكتلة .

والرتق لغة : السد ، والفتق : الشق . قال ابن كثير: في تفسيره كان الجميع متصلاً بعضه ببعض ، فتراكم في ابتداء الأمر ، ثم فتق هذا من (٣) هذا .

ويقرر القرآن الكريم هذه الحقيقة العلمية من قبل أربعة عشر قرناً من الزمان .

كما أن توجيه الخطاب في الآية الكريمة إلى الكفار يخلع على الآية الكريمة صورتين من صور الإعجاز العلمي في القرآن الكريم .

الصورة الأولى : إن الخطاب في الآية الكريمة موجه إلى الكفار وهذا في حد ذاته معجزة قرآنية رائعة بتحقق هذه المعجزة على أيديهم .

---

(١) **محمد أحمد الغمراوي** : الاسلام في عصر العلم ، ص ٢٨٦ .

(٢) **عبد الله عبد الرحيم العبادي** : العلم الحديث حجة للانسان أم عليه (القسم الأول) ص ٢٨-٢٩ .

(٣) **ابن كثير** : تفسير القرآن العظيم ٣/١٧٢ .